الفصل الثاني

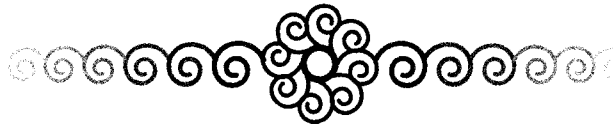

المرأة والرجل في
التكاليف والخطاب والأجر

بسم الله الرحمٰن الرحيم

مقدمة:

من هي المرأة التي تدور حولها السجالات والجدالات في العقود الأخيرة ؟

إنها شريكة الرجل في إعمار الكون وقد تجلى ذلك منذ ابتداء خلق الأرض حينما قال رب العزة مخاطباً الملائكة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1]، فالخليفة هو آدم وذريته. ولا يكون إعمار للأرض إلا بالتناسل والتكاثر عبر شريكين يكوّنان مجموع الأصل البشري وهما الذكر والأنثى. وفي ذلك قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2]. وقال عز من قائل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾[3].

ولأهمية المرأة في الحياة الإنسانية ذكرها الخالق جل وعلا في

---

(1) سورة البقرة، الآية: 30.

(2) سورة النساء، الآية: 1.

(3) سورة الأنعام، الآية: 98.

سورة حملت اسم سورة «النساء» في القرآن العظيم وهي من السور السبع الطوال.

كما ذكر القرآن الكريم المرأة والنساء في عدة سور منها: البقرة، وآل عمران، والمائدة، والأعراف، والنور، والنمل، والأحزاب، والفتح، والمجادلة، وسورة الممتحنة، والحجرات، والتحريم، والطلاق، كما خص بالذكر اسم سورة تحمل اسم امرأة من سيدات الجنة هي مريم عليها السلام.

الخروج من الجنة مسؤولية آدم وحواء:

صوّر رجال الرسالات السماوية السابقة للإسلام أن المرأة هي علة الخروج من الجنة المتمثلة بحواء لأنها أكلت من الشجرة المحرمة، وحملت النساء من بعدها خطيئة الأم الأولى حواء، وجاء في التوراة عن وسوسة إبليس المتمثل بـ «الحيّة» أنه قال لحواء: «وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا. فقالت الحيّة للمرأة: لن تموتا، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر. ورأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر. فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت زوجها أيضاً معها فأكل. فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان. فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر»[1]. وجاء عند المسيحيين

(1) سفر التكوين، الإصحاح الثالث، الأعداد 3 ـ 7، الكتاب المقدس، العهد القديم، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط. ل. ت..

في رسالة بولس الأولى إلى أهل تيموثاوس: «وآدم لم يُغوَ لكن المرأة أُغويت فحصلت في التعدي»[1].

أما في الإسلام فكان الأمر عكس ذلك إذ حُمّل آدم وحواء مسؤولية الخروج من الجنة قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾[2].

وقال تعالى أيضاً: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ * فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[3].

وما الأكل من الشجرة إلا علة للخروج المهيأ لآدم وزوجه من الجنة، لأن خلق الأرض هُيّئ لاستقبال الجنس البشري قبل ولادة آدم. وما وجوده في الجنة قبل خروجه منها إلا خير دليل على تكريم الله ﷻ لهذا المخلوق الذي أوكلت له الخلافة في الأرض، وأن الجنّة هي موطنه الذي يعود إليه، بعد أن يتم أمر الخلافة في الأرض الذي كان سبب وجوده فيها، إن آمن وعمل صالحاً بما أوجبه الله عليه.

وقد ذكر القرآن العظيم تجهيز الأرض له وأنه سيُجعل خليفة فيها، في المحاورة التي دارت بين رب العزة ﷻ وبين الملائكة الكرام،

---

(1) الرسالة الأولى إلى تيموثاوس، الإصحاح 2، العدد 14، أعمال الرسل من العهد الجديد.

(2) سورة الأعراف، الآية: 20.

(3) سورة طه، الآيتان: 120 ـ 121.

وبيّنت المحاورة تعجب الملائكة من وجود آدم في الأرض وأن بنيه سيسفكون الدماء فيها بعد أن أعلمهم الله بصورة معينة لمحة عن الحياة البشرية، وعلى إثر تلك المحاورة أُمِروا بالسجود لآدم، ونفذّت الملائكة الأمر الإلٰهي وامتنع إبليس الذي كان معهم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ * قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ * وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ * فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1].

فالقرآن الكريم أبرأ المرأة من تحمّل مسؤولية غواية آدم وجعلها على قدم المساواة في المسؤولية لإعمار الأرض بما يتناسب وما أُعِدَّت له من قدرات في التحمل والتكليف.

---

(1) سورة البقرة، الآيات: 30 ـ 37.

كما شملها التكريم في الخلق حينما ذكر الباري تعالى بأن بني آدم مكرمين على سائر المخلوقات. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1].

المرأة والرجل حُمّلا الخطاب والتكاليف:

عانت المرأة عبر تاريخ البشرية الطويل الكثير من الظلم كما الرجال في فترات من تاريخ الإنسانية، وكونها الأضعف خِلقة من حيث التكوين الفيزيولوجي كانت دائماً كبش فداء حتى من أقرب المقربين من أب أو زوج .. إلخ.، وإن كانت المدللة في أوقات متفرقة، حتى إن دولاً وأنظمة وتشريعات، وصولاً إلى العصور الحديثة، نظمت علاقة المرأة بالرجل واعتبرتها دونه منزلة وأجراً.

وعندما نزلت الرسالات السماوية اعتورها الكثير من التحريف والإجحاف في حق المرأة بين الفينة والأخرى. ثم جاءت دعوة الإسلام لتنظم العلاقة المجتمعية بين الرجل والمرأة فجعلتهما شريكين في إعمار الأرض.

وكون المرأة شريكة الرجل في هذا الإعمار فقد وجه رب العزة لها الخطاب بتكاليف أُمرت بها كما الرجل، وكان لها الأجر والثواب على طاعتها لأوامر الله تبارك وتعالى كما لها العقاب إذا عصت كالرجل سواء بسواء. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ

(1) سورة الإسراء، الآية: 70.

ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[1].

وشملها الخطاب في كل لفظ في كتاب الله مبتدئ بـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ...﴾، أو بـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟...﴾، كما خُصصت بالخطاب بـ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ...﴾، و ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[2].

وقد عُطفت على الرجل في الخطاب كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3]. كما عُطف الرجل عليها[4] كقوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[5].

---

(1) سورة النساء، الآية: 1.

(2) سورة النساء، الآية: 23.

(3) سورة المائدة، الآية: 38.

(4) أ.د. وهبة الزحيلي، القرآن الكريم بنيته التشريعية وخصائصه الحضارية، ص140-141، دار الفكر المعاصر، بيروت ـ لبنان/ دار الفكر ـ دمشق ـ سورية، ط1، 1413هـ./ 1993م..

(5) سورة النور، الآية: 2.

كما شملها الخطاب بلفظ عام موجه للأمة كما في قوله ﷻ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]. وكما في لفظ صفات المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾[2].

وإذا ما خوطب الرجال بلفظ خاص، كثيراً ما يتبعه لفظ موجه للنساء كما في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَالِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[3]، و﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[4].

وفي مجمل مدح صفات المؤمنين كثيراً ما وَجّهت الآيات الكريمات ذكرها للنساء في الآيات نفسها مدموجة مع الرجال كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[5].

كما وجه إليها الخطاب الرباني جنباً إلى جنب مع المؤمنين وأن المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض. قال جل شأنه:

---

(1) سورة البقرة، الآية: 134، ومكررة في الآية 141 من السورة نفسها.
(2) سورة المؤمنون، الآية: 5.
(3) سورة النور، الآية: 30.
(4) سورة النور، الآية: 31.
(5) سورة الأحزاب، الآية: 35.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

ليس هذا فحسب بل جعل الله تعالى التفاضل بين الناس بالتقوى، وليس بالذكورة والأنوثة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[2].

وسوّى سبحانه في خلق النفس البشرية ما بين ذكر وأنثى فقال عز من قائل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[3].

الثواب والعقاب:

حذّر الله تبارك وتعالى البشرية جمعاء من خطر إبليس اللعين وأنه عدو للإنسان وإذا ما تبعه في وسوساته هلك، وشمل في ذلك الذكر والأنثى. قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[4].

وفي عموم البلوى كان الخطاب عاماً عسى أن يرجع الناس إلى رشدهم وهذه الدعوة موجهة إلى الرجال والنساء كما في قوله

---

(1) سورة التوبة، الآية: 71.
(2) سورة الحجرات، الآية: 13.
(3) سورة الشمس، الآيات: 7 ـ 10.
(4) سورة يسّ، الآية: 60.

تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1].

وإذا ما استوجبت قرية العقاب الرباني لغلبة الفساد فيها على الخير كان الهالك رجالاً ونساءً، أطفالاً وشباناً وشيباً. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ * وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[2].

وذكر العذاب ﷻ للمرأة باسمها منفردة كامرأة نوح وامرأة لوط كما في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾[3]. كما ذكر العذاب للرجل أيضاً منفرداً كما في عذاب السامري الذي عاد بقوم موسى من التوحيد إلى عبادة الأوثان بأن صنع لهم عجلاً جسداً له خوار. قال تعالى: ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾[4].

وذكر العذاب للنساء كما للرجال إذا أشركوا بالله ونافقوا ودعوا إلى الفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ

---

(1) سورة الروم، الآية: 41.
(2) سورة الأنعام، الآيتان: 131 ـ 132.
(3) سورة التحريم، الآية: 10.
(4) سورة طه، الآية: 97.

غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1]. وقال جل شأنه: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[2].

والحساب يكون بحسب عمل الإنسان رجلاً كان أم امرأة كما في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[3].

وكل عمل يقوم به العبد ذكراً كان أم أنثى فإن حسابه على خالقه، ولم يفرق المولى ﷻ بين عباده في ثوابه أو عقابه حيث ذكر سبحانه ذلك في كتابه العزيز: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ﴾[4]. وكما في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[5]. وقوله سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[6]، و ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾[7]، و ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى

(1) سورة الأحزاب، الآية: 73.
(2) سورة الفتح، الآية: 6.
(3) سورة المدثر، الآية: 38.
(4) سورة آل عمران، الآية: 195.
(5) سورة النحل، الآية: 97.
(6) سورة التوبة، الآية: 72.
(7) سورة النساء، الآية: 124.

ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾[1]، و ﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[2]، و ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾[3].

كما ذكر ﷻ جزيل الثواب للمرأة المؤمنة الصالحة، وذكر اثنتين من سيدات الجنة بصالح الثواب في الآخرة، وليكونا أسوة للنساء الصالحات وهما امرأة فرعون ومريم ابنة عمران. قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾[4].

الجنس البشري:

خلق الله تبارك وتعالى الخلق وجعله ذكراً وأنثى وجعل لكل منهما خصائص وكلّفهما بأعمال ومهام ليقوما بأعباء الحياة. قال تعالى: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[5].

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: 36.
(2) سورة غافر، الآية: 40.
(3) سورة الفتح، الآية: 5.
(4) سورة التحريم، الآيتان: 11 ـ 12.
(5) سورة الملك، الآية: 14.

وكون المرأة هي الأضعف من حيث البنية فقد نظم الله سبحانه العلاقة بين الرجل والمرأة، زوجاً وزوجة، طبقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[1].

ولو أن الناس فكروا بأن لكل من الذكر والأنثى دوراً في إعمار الأرض بلا مفاضلة ولا مكابرة لما وصلنا إلى الإجحاف بحقوق النساء من قبل الرجال في بعض المجتمعات والبيئات.

وهناك آية في كتاب الله تدل على دور كل من الرجل والمرأة وأن الخَلْق النوعي بيد الله، وهو الذي اختار هذا النوع أو ذاك، وعلى الأنثى أن تقنع بأنوثتها ولا تتمنى أن تكون ذكراً، وعلى الذكر أن يقنع بذكورته ولا يتمنى أن يكون أنثى فذلك تقدير العليم الخبير بخلقه. قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[2].

وطالما أن الجنس البشري، المتمثل بالذكورة والأنوثة، مكلف بإعمار الأرض فلا مندوحة من وجود سمات مشتركة بين الاثنين ومفارقات بين الاثنين ليحصل التكامل المجتمعي للإعمار الأرضي المكلّفَيْن به.

فمن السمات المشتركة وجود العقل، والغرائز، والحاجات العضوية، والاستعداد للعمل والإنتاج. أما التغاير فإنه يبدأ في

(1) سورة البقرة، الآية: 228.

(2) سورة النساء، الآية: 32.

الوظائف الجسمية لكل واحد منهما، "فإذا انفردت المرأة بوظيفة الحمل والولادة والرضاعة ولم يشركها الرجل في شيء من ذلك، فقد شاركته هي في القدرة على العمل خارج البيت إذا ألجأتها ظروف العيش، وإن كان غالباً منها استعداداً لخوض هذا الميدان، تفرغاً لكسب القوت وانغماراً في تجارب الحياة المادية.

هنا إذاً تبدأ المفارقة بين وظائف الذكر والأنثى، مطبوعة كلها بطابع التكليف لا التشريف. وكان بديهياً أن تنصب تلك المفارقة على المرأة زوجاً وأماً حين تتحمل تكاليف الحياة الزوجية أو متاعب الأمومة وتبعاتها، كما كان بديهياً ألا ينصب شيء من تلك المفارقة على البنت المُسَاوية لشقيقها الذكر، قبل ارتباطها بالزواج وتهيئتها للأمومة.

ولقد كانت الوصايا الدينية الداعية إلى تعهد البنت بالرعاية والعناية كافية بصياغتها العاطفية الوجدانية لإبراز مكانتها في الأسرة في كنف أبويها إلى جانب إخوتها الذكور، ما دامت مثلهم في مرحلتها الأولى لا تقوم بعمل، ولا تتحمل شيئاً من الأعباء. بيد أننا في نصوص الشرع نجد أكثر من هذا المعنى العاطفي الوجداني عندما نلم ببعض الأحكام الفقهية التي صانت للبنت حقوقها، وأعدتها إعداداً خاصاً لاستقبال الحياة الزوجية براحة واطمئنان، ولما قد يترتب على ذلك من واجبات الأمومة بعد الإنجاب»[1]. وفي ذلك قال رسول الله ﷺ: «**من كانت له أنثى**

(1) د. صبحي الصالح، الإسلام ومستقبل الحضارة، ص 158 ـ 159، دار الشورى، ط1، بيروت ـ لبنان، 1982م.

فلم يئدها ولم يؤثر ولده ـ يعني الذكور ـ **عليها أدخله الله الجنة»**[1]. وكما قال ﷺ في عدم تفضيل ذكر على أنثى حتى في الهدايا والهبات: «**سوّوا بين أولادكم في العطية فلو كنت مفضّلاً أحداً لفضّلت النساء**»[2]. مما يؤكد على حفظ البنت ومساواتها في المعاملة مع أخيها منذ ولادتها ونشأتها حتى تتهيأ للحياة المستقبلية بثبات وثقة في النفس.

وحينما بلغت الأنثى مبلغ النساء وصارت زوجة وأماً أوصى بها النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع حينما قال: «**استوصوا بالنساء خيراً فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله**»[3].

وحينما كان النبي ﷺ في أحد أسفاره وغلام يدعى ـ أنشجة ـ يسير بالنوق بسرعة قال له النبي ﷺ :«**يا أنشجة رويداً سوقك بالقوارير**»، أي اجعل سيرك على مهل، وكنّى عن ذكر النساء بالقوارير وشبههن بها لرقتهن وضعفهن عن الحركة[4].

---

(1) رواه أبو داود، والحاكم بإسناد صحيح، المنذري (عبد العظيم بن عبد القوي ت. 656هـ.)، الترغيب والترهيب، ج3، ص 46، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت ـ لبنان، 1417هـ..

(2) البيهقي (أحمد بن الحسين بن علي بن موسى ت.458هـ.)، سنن البيهقي الكبرى، ج6، ص177، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية، 1414هـ./ 1994م..

(3) ابن كثير (إسماعيل بن عمر بن كثير ت. 774هـ.)، تفسير ابن كثير، ج1، ص 468، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، 1401هـ..

(4) الدامهرمزي (أبو الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد ت. 576هـ.)، أمثال الحديث، ج1، ص 123، تحقيق أحمد عبد الفتاح تمام، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، بيروت ـ لبنان، 1409هـ..

كما أمر ﷺ باللطف في معاملة المرأة فقال: «**ما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم**»[1].

وقال ﷺ أيضاً: «**إنما النساء شقائق الرجال**»[2].

الحدود في الإسلام واحدة للذكر والأنثى:

سوى الله تبارك وتعالى في القصاص بين خلقه ولم يفرق ما بين ذكر وأنثى. فقال عز من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ * وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[3].

كما وجه رب العزة الكَلِم لكل من الذكر والأنثى بحسب الجرم الذي صنعا كما في حد السرقة والزنا. قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ

---

(1) العجلوني (إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي ت. 1162هـ.)، كشف الخفاء، ج1، ص 463، تحقيق أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، ط4، بيروت ـ لبنان، 1405هـ..

(2) الترمذي (محمد بن عيسى ت. 209هـ.)، سنن الترمذي، ج1، ص 190، دار إحياء التراث العربي، تحقيق أحمد محمد شاكر وغيره، بيروت ـ لبنان، ل. ت. ـ وانظر العجلوني (إسماعيل بن محمد ت. 162هـ.)، كشف الخفاء، ج2، ص 435، تحقيق أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، ط4، بيروت ـ لبنان، 1405هـ..

(3) سورة البقرة، الآيتان: 178 ـ 179.

وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]. وفي السنة الشريفة ورد عن عائشة رضي الله عنها: «إن أسامة كَلّم النبي ﷺ في امرأة فقال ﷺ: **إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا يقيمون الحد على الوضيع ويتركون على الشريف، والذي نفسي بيده لو فاطمة فعلت ذلك لقطعت يدها**»[2].

وفي حد الزنا قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

وذكر الباري تعالى السارق قبل السارقة في معرض الآية لأن الرجل أشجع في موضوع السرقة بينما ذكر الزانية قبل الزاني في معرض الآية الثانية لأن المرأة بشكل عام غالباً ما تكون هي المشجعة لذلك أكثر من الرجل.

وحد الجلد في جريمة الزنا إنما يكون في حال العزوبية، أما في حال الزواج والوقوع في الزنا فإن الأمر مختلف فيقع حينئذ حد الرجم، ولم يفرق الشارع بين ذكر أو أنثى، وهذا ما بيّنته السنّة الشريفة، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر، ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رجل رسول الله ﷺ وهو في المسجد فناداه فقال: يا رسول الله إني زنيت. فأعرض عنه حتى ردد عليه أربع مرات. فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه النبي ﷺ

(1) سورة المائدة، الآية: 38.
(2) البخاري، صحيح البخاري، ج6، ص 2491، حديث رقم 6405.
(3) سورة النور، الآية: 2.

فقال: **أبك جنون؟** قال: لا. قال: **فهل أُحصنت؟** ـ أي تزوجت ـ قال: نعم. فقال النبي ﷺ: **اذهبوا به فارجموه»**[1].

وكما رُجم الرجل في حال الإحصان كذلك رُجمت المرأة كما في قصة ماعز بن مالك وقصة الغامدية اللتان روتهما كتب السنة الشريفة وهي أن ماعز بن مالك أتى إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله طهرني. فقال: **ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه.** قال: بعيد. ثم جاء فقال: يا رسول الله طهرني. فقال رسول الله ﷺ: **ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه.** قال: بعيد. ثم جاء فقال: يا رسول الله طهرني. فقال النبي ﷺ مثل ذلك حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله ﷺ: **مما أطهرك؟** فقال: من الزنا. فسأل رسول الله ﷺ: **أبه جنون؟** فأخبر أنه ليس بمجنون. فقال: **أشرب خمراً؟** فقام رجل فاستنكهه فلم يجد منه ريح خمر. قال: فقال رسول الله ﷺ: **أزنيت؟** فقال: نعم. فأمر به فرجم فكان الناس فيه فرقتين، قائل يقول: لقد هلك لقد أحاطت به خطيئته. وقائل يقول: ما توبة أفضل من توبة ماعز أنه جاء إلى النبي ﷺ فوضع يده في يده ثم قال: اقتلني بالحجارة. قال: فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة. ثم جاء رسول الله ﷺ وهم جلوس فقال: **استغفروا لماعز بن مالك.** قال: فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك. قال: فقال رسول الله ﷺ: **لقد تاب توبة لو قسمت بين أمّةٍ لوسعتهم.** قال: ثم جاءته امرأة من غامد من الأزد فقالت: يا رسول الله طهرني. فقال: **ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه.** فقالت: أراك تريد أن تردني كما رددت ماعز بن مالك. قال: **وما ذاك؟** قالت: إني حبلى من الزنا. فقال: **آنت.** قالت:

---

(1) البخاري، صحيح البخاري، ج6، ص 2499، حديث رقم 6430.

نعم. فقال لها: **حتى تضعي ما في بطنك**. قال: فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت. قال: فأتى النبي ﷺ فقال: قد وضعت الغامدية. فقال: **إذاً لا نرجمها وندع ولدها صغيراً ليس له من يرضعه**. فقام رجل من الأنصار فقال: إلي رضاعه يا نبي الله. قال: فرجمها»[1].

وفي رمي المحصنات ـ أي المتزوجات ـ بجريمة الزنا من غير بيّنة رجالاً كانوا أم نساء عليهم الجلد. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[2].

ولشارب الخمر أيضاً عقاب، من ذلك ما ورد في السنة الشريفة عن أنس أن النبي ﷺ ضرب في الخمر بالجريد والنعال وجلد أبو بكر أربعين[3].

وفي حال الردة عن دين الإسلام وجب القتل بالمسلم رجلاً كان أم امرأة وقد ورد في السنّة الشريفة عن أنس بن مالك عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «**من بدل دينه فاقتلوه**»[4].

مما سبق يظهر أن المسلمين سواء، ومنزلة المرأة في العقاب لا تقل عن منزلة الرجل.

---

(1) مسلم (مسلم بن الحجاج ت. 261هـ.)، صحيح مسلم، ج3، ص 1322، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ل.ت..

(2) سورة النور، الآية: 4.

(3) البخاري، صحيح البخاري، ج6، ص 2487، رقم الحديث 6391.

(4) ابن حبان (محمد بن حبان بن أحمد ت. 354هـ.)، صحيح ابن حبان، ج10، ص327، حديث رقم 4475، تحقيق شعيب أرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت ـ لبنان، 1414هـ./ 1993م..

الذمة المالية للمرأة:

إن الإسلام أعطى للمرأة استقلالية قانونية متميزة في الأموال، في حين لم تتجه التشريعات الأوروبية والأمريكية إلى إعطاء المرأة شخصيتها القانونية المستقلة على نحو نسبي إلا في العصر الحديث، وبدرجات متفاوتة.

وهذه الذمة المالية الخاصة تستطيع بموجبها إدارة مالها كما نص على ذلك الشارع، إذ إن الذمة المالية تتمثل في أهلية الوجوب. «وأهلية الوجوب هي: صلاحية الإنسان لثبوت الحقوق المشروعة له أو عليه. والذمة ـ أو أهلية الوجوب ـ تبقى ملازمة للإنسان إلى مماته، وقد يفرضها الشارع الحكيم للمتوفى بعد موته، ولحين تصفية تركته. والمرأة والرجل في هذا الحق شرعٌ سواء، والشارع أثبتها للإنسان الحي، ولم يجعلها للرجل دون المرأة.

ويقول العلامة الشيخ بدر متولي عبد الباسط رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالإنسان من حيث هو إنسان له أهلية وجوب في جميع أطوار حياته، منذ كان جنيناً إلى وفاته، بل أثبتها بعضهم للمتوفى قبل تقسيم التركة، فهي ثابتة للذكر، والأنثى، والعاقل، والمجنون، والحر، والعبد...»[1].

---

(1) أ.د. محمد مدروس المدرس الأعظمي، جوانب تفصيلية للمرأة في الشريعة الإسلامية، مجلة الأحمدية، العدد 16، محرم 1425هـ./ فبراير2004م.، تصدر عن دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي ـ الإمارات العربية المتحدة، ص159.

من هنا قرر الإسلام التساوي في الذمة المالية للمرأة كما للرجل، «فالرجل البالغ العاقل الرشيد له الشخصية القانونية الكاملة في أن يتصرف فيما يملكه ملكاً حراً بالبيع والهبة والوصية والإيجار، والتوكيل والرهن والشراء .. وغيرهما من مختلف التصرفات المالية، ومثله في هذا تماماً المرأة العاقلة البالغة الرشيدة، فليس لأبيها، أو زوجها، أو ابنها، أو أخيها أن يمنعها من شيء من ذلك.

ولا يعطي عقد الزواج في التشريع الإسلامي أي حق للزوج في أن يتدخل في أمور أو تصرفات زوجه المالية، لأن حق قوامته عليها، حق شخصي لا مالي، فليس له أن يتدخل في تصرفاتها المالية إلا إذا كانت تصرفاتها ماسة بالسلوك الخُلُقي وما له فيه حق القوامة الشخصي، فحينئذ يمارس قوامته في الجانب المقتصر على التصرفات الشخصية وحدها، دون أن يعرض للجانب المالي الخالص»[1].

ومن تصرفات المرأة وحريتها في الذمة المالية دون إذن زوجها ما كان من تصرف زوج الرسول ﷺ ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها حينما أعتقت جاريتها دون علم رسول الله ﷺ وحينما رأته قالت: «أَشَعرت يا رسول الله أني أعتقت وليدتي؟ قال: **أَوَ فعلت؟** قالت: نعم. قال: **أما أنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك**»[2].

---

(1) د. محمد بلتاجي، مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة (الحقوق السياسية والشخصية للمرأة في المجتمع الإسلامي)، ص 89، دار السلام، ط1، القاهرة ـ مصر، 1420 هـ/ 2000م..

(2) صحيح البخاري، ج2، ص 915.

ومن الأمثلة أيضاً أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها تصدقت بثمن جاريتها دون علم زوجها وقالت بعد أن باعت الجارية: «فدخل عليّ الزبير وثمنها في حجري، فقال: هبيها لي. قلت: إني قد تصدقت بها»[1].

(1) صحيح مسلم، ج4، ص 1717، حديث رقم 2182.